

البيان والتبيين

مقتدرا) مع ان امرا لم يكن منها في حبرة الا اعقبته بعدها عبرة ولم يلق من سرائها بطنا الا منحتة من سرائها ظهرا ولم تطله غيثة رجاء الا اهطلت عليه مزنة بلاء وجرى اذا اصبحت له منتصرة ان تمسي له خاذلة متنكرة وان جانب منها اعذوب واحلولى امر عليه جانب واوبى وان أتت امرا من غضارتها ورفاهتها نعماء ارهقته من نوائبها نقما ولم يمسه امرؤ منها في جناح أمن الا اصبحت منها على قوادم خوف غرور ما فيها فان ما عليها لا خير في شيء من زادها الا التقوى من اقل منه استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه ويطيل حزنه ويبكي عينيه .

كم واثق بها قد أفجعتة وذى طمأنينه اليها قد صرعتة وذى اختيال فيها قد خدعتة وكم من ذى أبهة بها قد صيرته حقيرا وذى نخوة قد ردتة ذليلا وكم من ذى تاج قد كبتة لليدين والفم سلطانها دول وغيثها رنق وعذبها أجاج وحلوها صبر وغذاؤها سممام وأسبابها رمام وقطافها سلع حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم ومنيعها بعرض اهتضام مليكها مسلوب وعزيزها مغلوب وسليمها منكوب وجامعها محروب مع ان وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلاع والوقوف بين يدي الحكم العدل (ليجزي الذين اساؤوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى) .

ألستم في مساكن من كان أطول منكم أعمارا وأوضح منكم اثارا واعد عديدا واكثف جنودا واعند عنودا تعبدوا للدنيا اي تعبد واثروها أي إيثار وطعنوا عنها بالكراهة والصغار فهل بلغكم ان الدنيا سمحت لهم نفسا بفدية او أغنت عنهم فيما قد اهلكتهم بخطب بل قد أرهقتهم بالفواحش وضععتهم بالنوائب وعقرتهم بالمصائب وقد رأيتم تنكرها لمن دان لها وأخلد اليها حين طعنوا عنها لفراق الابد الى آخر المسند هل زودتهم الا الشقاء وأحلتهم الا الضنك او نورت لهم الا الظلمة او أعقبتهم الا الندامة أفهذه تؤثرن أم على هذه تحرصون أم اليها تطمئنون يقول [] (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها باطل ماكانوا يعملون) .

فبئس الدار لمن أقام فيها فاعلموا وانتم تعلمون انكم تاركوها لا بد فانما